

الدرس الحادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد :

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له في كتاب (نواقض الإسلام):

الْعَاشِرُ: الْإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة ٢٢].

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ وَالْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وَقُوعًا؛ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

هذا هو الناقض العاشر من النواقض العشرة للإسلام التي جمعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله نصحاء وتحذيرا؛ وهو «الْإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ»؛ الإعراض الكلي عن الدين بحيث تكون حال الإنسان مع دين الله أنه لا يأبه بالدين ولا يهتم، يعرض عن الدين من جهة التعلم والمعرفة بهذا الدين، ويعرض عن الدين من جهة العمل فلا يعمل به ، فمن كان على هذه الحال معرضا عن الدين الذي خلق لأجله ووجد لتحقيقه، «لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ» ؛ لا يتعلمه أي لا يتعلم أصول الدين التي عليها قيامه، ولا يتعلم أحكام الشريعة وفرائض الإسلام وواجبات الدين، لا يتعلم ذلك معرضا عن ذلك كله، وكأن الدين شيء لا يعنيه، فلا يبالي به ولا يهتم، لا من جهة العلم ولا من جهة العمل، مثل هذا يقال عنه متحلل من الدين، أو مُنحل عن الدين، بسبب الإعراض التام منه عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من جهة العلم والعمل فهذا كفر، ويسمى هذا النوع من الكفر «كفر الإعراض»، أي أن صاحبه معرض عن الدين. فهذا النوع من الكفر يسمى «كفر الإعراض» لإعراض صاحبه عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يتعلمه ولا يعمل به، بمعنى أنّ الدين ليس داخل في اهتماماته، وليس من الأمور التي هي محلّ عنايته، إعراض تام عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومن كان بهذه الصفة وعلى هذه الحال فهو كافر ، لأنّ الدين الذي خلق لأجله وأوجد لتحقيقه لا يعنيه شيئا ولا يهتم به تعلّما ولا عملا .

وذكر رحمه الله تعالى الدليل على هذا الناقض وهو قول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] ؛ فأخبر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أنّ من كان بهذه الصفة مجرم ،

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْتَقِمُ مِنَ الْمَجْرِمِينَ بِالْعُقُوبَةِ الْغَلِيظَةِ وَالنَّكَالِ الشَّدِيدِ؛ وَهَذَا إِجْرَامٌ فَضِيعٌ، وَإِنْ كَانَ مِنْ ضَلٍّ عَنْ الْهُدَى وَسَلَكَ سَبِيلَ الْهَلَاكِ وَالرَّدَى لَا يَحْسُ بِأَنْ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْإِجْرَامِ وَأَشْنَعِهِ.

وكلمة «الإجرام» و«المجرم» و«المجرمين» في أذهان كثير من الناس تحدت في أنواع من الذنوب الكبار كالعدوان، كقطع الطريق، كالتسلط على الناس في أموالهم.. تحدت في هذه المعاني، بينما الإعراض عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُ الدِّينَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ هَذَا إِجْرَامٌ مِنْ أَشْنَعِ الْإِجْرَامِ وَمِنْ أَفْظَعِهِ؛ بَلْ إِنْ هَذَا النُّوعُ مِنَ الْإِجْرَامِ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ أَنْوَاعُ الْإِجْرَامِ الْآخَرَى، أَنْوَاعُ الْجَرَائِمِ الْآخَرَى تَتَوَلَّدُ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا انْحَلَّ مِنَ الدِّينِ وَلَمْ يَكُنْ عَنْده دِينٌ يَضْبُطُهُ فِي سُلُوكِهِ، فِي عَمَلِهِ، فِي مَعَامَلَاتِهِ، فَإِنَّهُ سَيَمَارِسُ أَنْوَاعًا مِنَ الْإِجْرَامِ، فَالَّذِينَ يَضْبُطُ الْإِنْسَانَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا وَجَدَ عَنْده الدِّينَ، وَجَدَتْ مَخَافَةُ اللَّهِ مِرَاقِبَتَهُ، طَلَبَ أَجْرَهُ، الْخَوْفُ مِنْ عِقَابِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. أما المعرض عن دين الله فهو معرض عن الثواب، عن العقاب، معرض عن الجزاء، معرض عن المراقبة، والخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مَعْرُضٌ عَنْهَا، بَيْنَمَا إِذَا اهْتَمَّ أَوْ وَفَّقَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِهْتِمَامِ بِهَذَا الدِّينِ وَشَرَحَ صَدْرَهُ لِدِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُ الْآخَرَى بِحَسَبِ حَظِّهِ مِنَ الْاسْتِمْسَاكِ بِهَذَا الدِّينِ وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ.

لهذا ينبغي أن يُعْلَمَ أَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ جَرِئَةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْجَرَائِمِ وَأَشْنَعِهَا وَأَفْظَعِهَا؛ بَلْ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ فَشْوِ الْجَرَائِمِ الْآخَرَى وَانْتِشَارِهَا فِي الْمَجْتَمَعَاتِ؛ فَإِنَّ الْمَجْتَمَعَ الَّذِي يَكْثُرُ فِيهِ إِعْرَاضُ أَهْلِهِ عَنْ دِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُونَهُ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ تَفْشُو فِيهِ الْجَرَائِمُ وَتَنْتَشِرُ فِيهِ أَنْوَاعُ الرِّذَائِلِ وَالْخَسَائِسِ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الظُّلْمُ وَالْبَغْيُ، وَيَقِلُّ فِيهِ الْأَمْنُ وَيَكْثُرُ فِيهِ الْعَدَاوَةُ، بَيْنَمَا إِذَا أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلُحَتْ حَالُهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ، وَتَحَقَّقَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالسَّعَادَةُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] أَي: يَسْعَدُ. فَالَّذِينَ يَتَرْتَبِ عَلَى وَجُودِهِ وَجُودُ السَّعَادَةِ وَالْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، وَذَهَابُ الدِّينِ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ فَسَادُ الْمَجْتَمَعَاتِ، وَذَهَابُ الْأَمْنِ، وَحُلُولُ الْخَوْفِ، وَكَثْرَةُ الْجَرَائِمِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾؛ أَيِ يَتَلَقَّى التَّذْكِيرَ بِآيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِعْرَاضِ التَّامِّ عَمَّا يُذَكَّرُ بِهِ مِنْ جِهَةِ التَّعَلُّمِ، فَلَا يَلْقِي بَالًا لِتَعَلُّمِ الدِّينِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَمِنْ جِهَةِ الْعَمَلِ لَا يَلْقِي أَيِ إِهْتِمَامٍ لِلْعَمَلِ بِدِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَإِنَّهُ كَافِرٌ كَفْرًا أَكْبَرَ، وَفَعَلَهُ هَذَا نَاقِضٌ مِنَ نَوَاقِضِ الدِّينِ، وَيُسَمَّى هَذَا النُّوعُ مِنَ الْكُفْرِ كَمَا قَدِمْتُ «كُفْرَ الْإِعْرَاضِ»؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ أَنْوَاعٌ: مِنْهُ كُفْرُ الشَّكِّ، وَكُفْرُ النِّفَاقِ، وَكُفْرُ التَّكْذِيبِ، وَمِنْ أَنْوَاعِهِ كُفْرُ الْإِعْرَاضِ هُوَ نَاقِضٌ مِنَ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ خَتَمَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَلَامَهُ عَلَى هَذِهِ النَوَاقِضِ الْعَشْرَةِ لِلْإِسْلَامِ بَيَانًا أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي هَذِهِ النَوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ وَالْخَائِفِ إِلَّا الْمَكْرَهُ؛ يَعْنِي لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنَ الشَّخْصِ مِنْ بَابِ الْهَزْلِ لَا مِنْ بَابِ

الجد، أو أن تقع منه جادًا فيها، أو أن تقع منه خائفًا، فلا فرق بين ذلك، كل ذلكم ينتقض به الإسلام . فمن وقع في شيء من هذه النواقض هازلًا، يعني فعل شيئًا من هذه النواقض من باب الهزل لا من باب الجد، فهذا يكفر؛ لأن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ فِيهِ هَزْلٌ، دين الله جدٌ لا هزل فيه، فمن هزل بشيء من دين الله، أو فعل شيئًا من الأمور التي تنقض الإسلام ويقول: فعلتُ ذلك هازلًا أو فعلتُ ذلك مازحًا، مثل : أن يستغيث شخص بغير الله، "مدد يا فلان، أدركني يا فلان، أنا عائد بك يا فلان" فلما أنكر عليه قال: أنا أمزح، لست جادا. أو مثلاً شخص استهزأ بشيء من دين الله. وعرفنا أن من نواقض الدين الاستهزاء ﴿قُلْ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] استهزأ بشيء من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقال: لست جادا وإنما أمزح من باب المزاح والهزل، أو أيّ ناقض آخر من نواقض الإسلام ارتكبه وقال: إني فعلتُ ذلك من باب الهزل لا من باب الجد؛ فهذا ناقض من نواقض الإسلام، لأنّ دين الله جد.

والهزل بالدين أو تعاطي بعض الأمور التي تناقض الدين من باب الهزل ، أو الهزل أيضا بشيء من أصول الدِّين وأمور الإسلام وشرائعه ؛ هذه كما قدّمْتُ سابقا تدل على أن هذا الذي يقع منه هذا الهزل ليس عنده الموافقة والقبول لهذا الدين ، لأن الموافقة والقبول لا يترتب عليها وجود الهزل، وإذا كان الشخص هازلًا فسيكون أبعد ما يكون أن يكون هزله في شيء من دينه، لأنّ دينه أتمن شيء عنده وأعلى شيء يملكه، لا يمكن أن يجعل دينه محلاً للهزل، فوجود الهزل بالدين أو الهزل بالأمور التي تنقض دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذه إنما تقع من الإنسان بسبب وجود شيء من المعارضة للدين وعدم الموافقة . أما الموافق لهذا الدين المستسلم المنقاد المدعن المسلم وجهه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يمكن أن يجعل دينه أو شيئًا من دينه محلاً للهزل، وإذا هزل بشيء لا يهزل بدينه؛ لأنّ دينه أتمن شيء عنده وأعلى شيء يملكه، فوقع الإنسان في شيء من هذه النواقض ولو من باب الهزل كفر ناقل من ملة الإسلام.

قال: «وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِ» ؛ والجاد واضح كفره، من يفعل شيء من هذه النواقض جاد في ذلك يعني مقتنع فيها ، ورضيها لنفسه، واجتهد في أن يكون من أهلها ؛ فهذا لا شك أنه كافر كفرًا مبينًا ناقلًا من ملة الإسلام .

قال: «وَالْخَائِفِ» أي من فعل شيئًا من هذه النواقض خوفًا، إما مثلاً: خوفًا على مالٍ ، أو خوفًا على تجارة، أو خوفًا على رئاسة، أو خوفًا على وجاهة، أو خوفًا على دنيا يحصلها أو غير ذلك، أو غير ذلك ، فإذا فعل شيئًا من هذه النواقض من باب الخوف فإنه يكفر، لأنه قدّم خوفه على هذه الأشياء الدنيوية على دينه وصارت هي المقدمة على دينه، يضيع دينه وتذهب أصوله ويقع فيما ينقضه، وتسلم له دنياه، أو تسلم له رئاسته، أو يسلم له ماله، أو يسلم له جاهه.. أو غير ذلك ؛ فهذا ناقض من نواقض الإسلام .

من وقع في شيء من هذه النواقض من باب الخوف، مثل أن يخاف على رئاسةٍ حصلها ، أو مالٍ اكتسبه أو ينتظر أن يكتسبه، ويخاف من شخص فوقعه إن لم يطاوعه في فعل شيء من هذه النواقض أن لا يُحصَل تلك الرئاسة أو يحرم منها، أو لا يُحصَل ذاك المال أو يحرم منه، أو لا يحصل ذلك الجاه أو يحرم منه، أو نحو ذلك، إذا كان كذلك فإنه ينتقض بذلك دينه، ولو كان فعل ذلك خوفاً على هذه الأشياء، وفعله ذلك خوفاً على هذه الأشياء دليل على أنها هي المقدمة عنده على الدين ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [التوبة ٢٤] إذا كانت هذه الأشياء هي المقدمة عنده وخوفه عليها، لا يبالي أن يرتكب لأجله ناقضا من نواقض دين الله عز وجل فمثل هذا لا يُعذر بهذا الخوف.

قال: «إِلَّا الْمَكْرَهُ» يعني الذي يُكره على فعل شيء من هذه النواقض عن غير اختيارٍ منه ولا رغبة ولا انشراح صدر، بل يُلجأ إليها إكراهاً وإرغاماً ؛ بأن يقول كفراً أو يفعل كفراً إرغاماً وإكراهاً له على ذلك ، فمثل هذا لا ينتقض دينه بالإكراه حتى ولو قال الكفر أو فعل الكفر، كما قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] ، لم يستثن تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا الْمَكْرَهُ، ممن قال الكفر أو فعل الكفر لم يستثن إلا المكره قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ؛ فمن وقع الكفر أو فعل الكفر مكرهاً، وأيضاً بشرط أن يكون الصدر منشرح بالإيمان لا أن يكون عند الإكراه يمارس الكفر وينشرح صدره بالكفر؛ بل بهذا الضابط، يعني يفعل الكفر مكرهاً عليه ويكون في الوقت نفسه قلبه كاره لذلك مبغض له، ويكون أيضاً قلبه مطمئن بالإيمان لكن يمارس في الظاهر القول الكفر أو العمل الكفر إكراهاً عليه وإرغاماً تحت وطأة السيف والتهديد بالقتل، أو الحرق بالنار ، أو نحو ذلك، فإذا أكره على الكفر ففعله مكرهاً عليه فإنه يُعذر. أي ناقض من نواقض الإسلام يقع فيه مكرهاً على ذلك فإنه يعذر، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في بيان ذلك: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ، لا بد من هذين الأمرين في كونه معذورا:

● الأول: أن يكون قد أكره فعلاً على ذلك.

● والأمر الثاني: أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان.

ثم أنهى رحمه الله كلامه على هذه النواقض العشرة بالتأكيد على أهميتها وعظم شأن العناية بها، وأن العناية بها معرفةٌ ومدارسةٌ من الضروريات المهمة؛ لأن اتقاء الباطل لا يكون إلا بعد معرفة الباطل، كما قيل قديماً: «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟!»، فكيف تُتقى نواقض الدين من الذي لا يعرف أن الدين ينتقض بها!! أو لا يعرف ما هي الأمور التي ينتقض بها دين الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى !!

فمعرفة هذه النواقض من الضروريات والأمور المهمة، وقد قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تُنْقَضُ عُرَى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية» ؛ إذا كان الإنسان لا يعرف الجاهلية، لا يعرف الأمور المبجلة للدين، لا يعرف محبطات الأعمال قد تدخل عليه في أعماله وفي حياته وهو لا يدري بذلك، ولهذا معرفة هذه النواقض من الأمور المهمة والعظيمة .

وقد نبه الشيخ رحمه الله تعالى على أهمية معرفة هذه النواقض من وجوه ختم بها رحمه الله تعالى رسالته هذه: **الوجه الأول:** أن هذه النواقض من أعظم ما يكون خطرا ؛ يعني من أخطر الأشياء وأضرها، ومن المعلوم أن الأخطر من الأشياء التي تضر بالإنسان الضرر البالغ يُعْتَنَى بمعرفتها ومعرفة الأسباب الواقية منها أكثر من غيرها، واعتبروا بذلك بالأمراض وتفاوتها ؛ عندما يوجد في مجتمع من المجتمعات مرض خطير ومعدِي، وسريع الانتشار، ويميت في الغالب، أضراره على الإنسان في صحته بليغة جدا، إذا وُجد مرض بهذه الخطورة، كيف يكون حال الناس معه؟ وخذوا مثالا على ذلك قريبا انفلونزا التي تسمى انفلونزا الخنازير، كيف أصبح العالم كله ارتج! ويعني أصبحت تعمل مؤسسات وشركات وخلق للبحث عن وسائل العلاج والتحذيرات والتنبيهات، لأن الأمر كلما كان أخطر تزيد العناية به . فمن هذا الوجه ينبه الشيخ، يقول: هذه من أعظم ما يكون خطراً، فهي خطيرة جداً. والشرك وهذه النواقض ضررها على الإنسان في هلاك دينه، وفساد دنياه وأخراه، ضياع الدنيا والآخرة بضياع الدين، أما الأمراض تلك وهي مما يحرص المسلم على اتقائها وبذل الأسباب للتوقي منها بالطب الوقائي وأيضا العلاج فيما لو ابتلي الإنسان بشيء من ذلك أو بمقدمات لتلك الأمراض، الإسلام جاء بهذا وهذا، جاء بالطب الوقائي وأيضا جاء بالطب العلاجي؛ الوقائي للمرض قبل وقوعه ، والعلاجي للمرض بعد وقوعه جاء الإسلام بهذا وهذا، وفي الحديث ((مَنْ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌّ ، وَلَا سِحْرٌ)) هذا من باب الطب الوقائي ، الأذكار أيضا الشرعية ((لا يضره شيء)) هذه بإذن الله كلها واقية ودافعة للأسقام والأمراض . والدعوات المأثورة، وأيضا مراعاة التغذية النافعة والبعد عن الغذاء الضار أو الإفراط في الغذاء، هذا كله من باب الوقاية ((مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ)) هذا فيه وقاية للإنسان من الأمراض . فالإسلام جاء بالطب الوقائي، وجاء أيضا بالطب العلاجي، ومن يقرأ كتاب «الطب النبوي» للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى يجد الفوائد العظيمة من خلال هدي دين الإسلام وما جاء عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في هذا الباب العظيم.

فالشاهد أن اتقاء الشرك واتقاء نواقض الإسلام ينبغي أن يكون عند الإنسان مقدماً على اتقاء هذه الأمراض، وإن كانت كلها تُتقى لكن الشرك أخطر وضرره أعظم ؛ لأن المرض مهما كبر مضرته على البدن . ثم من جهة أخرى إذا ابتلي الإنسان بشيء من هذه الأمراض واحتسب ذلك عند الله جل وعلا كانت أمراضه كفارة له ورفعته عند الله جل وعلا، ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)) ، فهذه الأمراض تكون كفارة ورفعاً عند الله سُبحانَهُ وتعالى، وقد يكون له درجة في الجنة لا يبلغها إلا بمصيبة يصاب بها في الدنيا يصبر عليها ويرضى بها فيبلغ بها الرتب العالية، فتكون هي في حقه كفارة ورفعاً . لكن وجود الشرك، وهو مرض من أخطر الأمراض؛ بل هو أخطر الأمراض وأشنعها أو وجود هذه النواقض، هذه كلها أمراض وهي أخطر الأمراض وأشنع الأوبئة وأشد الأسقام ضرراً على الناس، فخطورتها بالغة، فالشيخ نبّه أولاً على خطورة هذه النواقض ، نبه على أهمية العناية بمعرفة هذه النواقض معرفة لها ودراية بها من جهة أنّها أخطر ما يكون، هذا من الناحية الأولى .

الناحية الثانية : نبّه على أهمية العناية بها من جهة كثرة وقوعها؛ يعني أنّها تقع بكثرة تقع بكثرة وتنتشر في الناس بكثرة، فكونها تقع بكثرة وتنتشر بكثرة هذا ممّا يجعل على الإنسان يخاف من هذه النواقض، فهي أمور تقع وتنتشر في الناس لها دعاؤها، لها مروجوها، لها من يزينها للناس بالباطل، لها من يثير الشبهات التي تروجها في الناس وفي أوساط الناس، لها من يستغل الحوادث والأحداث والأمراض التي تقع في الناس لربطهم بغير الله وإيقاعهم في الشرك والكفر، وإتيان السحرة والكهنة والتعلّق بغير الله دعاءً ورجاءً وسؤالاً، فتنتشر؛ فهذا مما يخيف، مما يدعو إلى الخوف من هذه الأشياء والحذر منها أنّها تنتشر، ولهذا نبه الشيخ على أهمية العناية بدراسة هذه النواقض ومعرفتها من جهة أنّها من أكثر ما يكون وقوعاً، أي تقع في الناس بكثرة .

كذلك يستفاد من كلامه رحمه الله عن كلامه عن هذه النواقض وذكره الأدلة عليها ؛ مما يعين الإنسان على مزيد العناية والاهتمام بهذه النواقض : أن العقوبة التي أعدّها الله سُبحانَهُ وتعالى لمرتكي هذه النواقض أعظم العقوبات، فهذه النواقض هي الذنب الذي لا يُغفر، ومن مات على شيء من هذه النواقض ولقي الله سُبحانَهُ وتعالى ليس له يوم القيامة إلا النار خالداً مخلداً فيها أبداً ، كما قال الله سُبحانَهُ وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا﴾ [فاطر ٣٦]، فمن مات ولقي ربه سُبحانَهُ وتعالى بشيء من هذه النواقض ليس أمامه يوم القيامة إلا النار، بل ليس بينه وبين النار إلا أن يموت فقط، ليس بينه وبين النار إلا أن تخرج روحه من جسده، كما قال عليه الصّلاة والسّلام : ((من مات وهو يدعو من دون الله

نَدَّا (دخل النار)) ، فليس بين المشرك أو المرتكب لهذه النواقض أو لشيء منها ليس بينه وبين النار إلا أن يموت، فالنار قريبة من المشرك، كما أن الجنة قريبة من المؤمن الموحد، نسأل الله الكريم من فضله، فالجنة قريبة من المؤمن ليس بينه وبين الجنة إلا أن يموت، والقبر روضة من رياض الجنة للموحد صاحب الإيمان؛ فهذا أيضا مما يبين خطورة هذه النواقض.

إذا قرأت أيضا في القرآن صفوة الخلق وخوفهم من الكفر وخوفهم من الشرك بالله ودعائهم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعيدهم من الكفر وأن يعيدهم من الشرك وأن يجنبهم الشرك، هذا مما يدعو أيضا إلى الخوف الشديد من الشرك ، والخوف من مثل هذه النواقض ، فإمام الخنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام الذي حطم الأصنام بيده قال في دعائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم!». فهذا أيضا مما يستوجب معرفة هذه النواقض، والخوف منها وكراهية الوقوع فيها ، والبغض لها ولأهلها وفاعليها، وسؤال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الثبات على الحق، والسلامة والوقاية من موجبات غضب الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وأليم عقابه.

ولهذا ختم رحمه الله تعالى بهذه الدعوة، قال: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ»؛ لأن هذه الأعمال أو النواقض التي ذكرها رحمه الله تعالى من أعظم موجبات حلول الغضب من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى على الإنسان ، فيعرفها العبد ويحذر منها ويتعوذ بالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من ذلك.

والتعوذ بالله نعوذ بالله من موجبات غضبه؛ هو التجاء إلى الله واعتصام به سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعيد الإنسان من الكفر ، وأن يعيده من كل أمر يوجب غضب الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وسخطه، وقد كان نبينا كما جاء في الأدب المفرد للإمام للبخاري بسند جيد، كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كل يوم إذا أصبح وإذا أمسى يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر ومن الفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت» يقولها ثلاثا إذا أصبح، ويقولها ثلاثا إذا أمسى، في كل صباح يتعوذ بالله ثلاث مرات من الكفر، وفي كل مساء يتعوذ بالله من الكفر ثلاث مرات ، وجاء في الأدب المفرد وغيره عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: ((لَلشِّرْكِ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ)) ثم علمهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دعاء عظيما في هذا الباب، وهو أن يقول المسلم: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»، ففيه التعوذ بالله من الشرك، وجاء عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في باب التعوذ «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء». فالمسلم لا غناء له عن الاستعاذة بالله جل وعلا والاعتصام به والالتجاء إليه، أن يحميه من هذه وأن يُبَعِّضَهَا إلى قلبه، وأن تكون أكره شيء إليه؛ وهذا كله بيد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال الله عز وجل في سورة الحجرات: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ الْإِيمَانِ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ

الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴿٧﴾ ، أي هذا التحبيب للإيمان والتزيين له، تزيين القلب به والتكريه للكفر والفسوق والعصيان هذا كله منة من الله.

فالعبد بأمس الحاجة إلى أن يلجأ دائما وأبداً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَهُ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، وَأَنْ يَثْبِتَهُ عَلَى دِينِهِ الْقَوِيمِ، وَأَنْ يَعِيْذَهُ مِنَ الزَّيْغِ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨٠]، وَأَنْ يَجَنِّبَهُ الضَّلَالِ وَسَبِيلِ الضَّالِّينَ، وَفِي الدُّعَاءِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَلْ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ أَدْعِيَتِهِ «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلَّ مَرَّةٍ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ وَيُرْشِدُ إِلَى ذَلِكَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أَضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ..» إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ، وَالْأَدْعِيَةِ الْمَأْتُورَةِ عَنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّهَا تَأْكُدُ أَهْمِيَّةَ التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الضَّلَالِ، التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ، التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرْكِ، التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْتَقِضُ بِهَا دِينَ الْعَبْدِ.

وَيُعْلَمُ مِنْ خِلَالِ مَا تَقَدَّمَ : أَنَّ الْعَبْدَ يَحْتَاجُ فِي هَذَا الْبَابِ إِجْمَالًا ، يَعْنِي لِلْوَقَايَةِ مِنْ هَذِهِ النِّوَاقِضِ يَحْتَاجُ أَمْرَيْنِ :
١. الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: يَحْتَاجُ إِلَى بَذْلِ الْأَسْبَابِ ، وَبَذْلِ الْأَسْبَابِ تَكُونُ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ النِّوَاقِضِ ، وَمَعْرِفَةُ خَطُورَتِهَا وَالْوُقُوفُ عَلَى أَدْلَتِهَا وَعُقُوبَاتِهَا الَّتِي أَعَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَهْلِهَا ، وَالْحَذَرُ مِنْهَا وَمُجَانِبَتِهَا وَالْمُبَاعَدَةُ عَنْهَا، هَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ تَحْتَ بَذْلِ الْأَسْبَابِ الْمَطْلُوبَةِ مِنَ الْعَبْدِ.

٢. وَالْجَانِبُ الثَّانِي: الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْأَدْعَاءِ بِأَنْ يَعِيْذَ الْعَبْدُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَأَنْ يَقِيَهُ إِيَّاهَا وَأَنْ يَعَافِيَهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا وَأَنْ يَسَلِّمَهُ مِنَ الزَّيْغِ.

فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُمَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: ((أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ)).

ثُمَّ خَتَمَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الرِّسَالَةَ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
نَسَأَلَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَنْ يَجْزِيَ هَذَا الْإِمَامَ وَأَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ عَلَى هَذِهِ الْجُهُودِ الْمُبَارَكَةِ وَالْأَعْمَالِ الْمَبْرُورَةِ نَصْحًا لِدِينِ اللَّهِ وَتَحْذِيرًا لِعِبَادِ اللَّهِ، وَنَسَأَلَ اللَّهُ الْكَرِيمُ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَعِيْذَنَا مِنَ الشَّرْكِ وَمِنَ الْكُفْرِ وَمِنَ النِّفَاقِ وَمِنَ الْفُسُوقِ، وَأَنْ يَعِيْذَنَا مِنْ مَنَكِرَاتِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدْوَاءِ، وَأَنْ يَصْلِحَ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَنْ يَصْلِحَ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَنْ يَصْلِحَ لَنَا آخِرَتُنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ،

نَسَأَلَ اللَّهُ الْكَرِيمُ لَنَا وَلَكُمْ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَالْعَوْنَ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .